1- حصار السلطان محمد للموصل سنة (498هـ)

أ- مسير السلطان محمد الى الموصل :

لما اصــطلح الســلطان محمد بن ملكشــاه وأخيه بركيــاروق سنة (497هــ) تقــرر بمـوجب هـذا الصـلح ان يكـون بركيـاروق هو الســلطان ومحمد هو الملك ، ويكــون لمحمد من البلاد أذربيجــان وديار بكر والموصل والشام، ويكون له من بلاد العـراق بلاد سـيف الدولة صدقة [1] وبـاقي البلاد لبركيـاروق وأن تكـون الخطبة له في بغـداد[2] وبعد الصـلح سـار السـلطان محمد الى مدينة مراغة [*] ثم الى آربل[**] يريد قصد جكـــرمش صـــاحب الموصل ليأخذ بلاده [3] فلما علم جكرمش بذلك استعد لمواجهة عساكر السلطان [4] .

وقد راسل الســلطان محمد جكــرمش ذاكــراً له الصــلح مع أخيــه، وإن جملة ما اســتقر عليه الموصل وبلاد الجزيــرة ، وكتب بركيـاروق اليه بـذلك والايمـان على تسـليمها اليه وقـال له : **" إن أطعت فأنا لا آخـــذها منك ، بل أقرها بيـــدك، وتكـــون الخطبة لي بهــا"** فقــال جكــرمش : **" إن كتب الســلطان وردت اليّ بعد الصلح تأمرني أن لا أسلّم البلد الى غيره "** [5] .

---

[1] (?) ابن الجـوزي، المنتظم، ج9، ص 138؛ ابن الاثـير ، الكامـل، ج 10، ص 370؛ ابو الفداء، المختصر، ج2، ص 215.

[2] (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 370؛ ابو الفداء، المختصر، ج2، ص 216؛ العمري، منهل الاولياء، ج1، ص 104.

(*) مراغـة: بلـدة مشـهورة من أعظم واشـهر بلاد أذربيجـان ، بناها مروان بن محمد الاموي عندما كان والي ارمينيا .
ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج5، ص 93.

(**) آربل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة بين الزابين وتعدّ من اعمال الموصل .
ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص 138.

[3] (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 383؛ ابن الساعي، تـاج الـدين علي بن انجب الخازن البغدادي(ت674هـ) ، نسـاء الخلفـاء، تحقيق : مصطفى جواد، دار المعارف، (مصر ـ 1964) ، ص 130؛ الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص 20؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34

[4] (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 383؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34.

[5] (?) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت 555هـ)، ذيل تـأريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت ـ 1908) ، ص 156؛ ابن الاثير ،الكامل، ج10، ص 383.

ولما علم جكرمش بزحف السلطان محمد استعد لمواجهة عساكر السلطان وأهتم بتقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، فجدد سورها ، وأمر أهل السواد المنتشرين خارج المدينة بدخولها ، واذن لاصحابه بنهب كل من يمتنع عن الدخول [1] .

ب- موقف أهل المدينة من الحصار :

استبسل أهل الموصل في الدفاع عن مدينتهم ، إذ قاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقاً كثيراً وذلك لمحبتهم لجكرمش الذي أحسن السيرة فيهم ومما يؤيد وقوف أهل الموصل الى جانب جكرمش موقفهم بعد وفاة بركياروق ، إذ جمع جكرمش أعيان البلد واستشارهم فيما يفعله، فأكدوا ولاءهم له وقالوا: " **أموالنا وأرواحنا بين يديك،وأنت أعرف بشأنك ، فاستشر الجند فهم اعرف بذلك** " [2] .

ومن الامثلة على شجاعة أهل الموصل أن أصحاب السلطان محمد تمكنوا من فتح ثغرة في سور الموصل وانسحبوا بعد أن أدركهم الليل، وفوجىء أصحاب السلطان محمد في صباح اليوم التالي بالسور وقد سدت ثغراته وشحن بالمقاتلة ، وكانت بعض عساكر جكرمش قد اجتمعت بتلعفر [*] .فهاجموا مؤخرة الجيش السلجوقي وقطعوا الميرة عنهم [3] . وساعدت الاوضاع الاقتصادية أهل الموصل ، إذ كانت الاسعار رخيصة عندهم أثناء الحصار، فالحنطة تساوي كل ثلاثين مكوكاً بدينار والشعير كل خمسين مكوكاً بدينار [4] .

ج - الصلح بين السلطان محمد وجكرمش :

استمر أهل الموصل يدافعون عن مدينتهم ببسالة وشجاعة فدام القتال الى عاشر جمادى الاولى، فوصل الخبر الى جكرمش

---

1 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 383ـ384.

2 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 383؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34.

(*) تلعفر: هو أسم قلعة وربض بين مدينة سنجار ومدينة الموصل في وسط واد فيه نهر جار،وهي على جبل منفرد ، حصينة ومحكمة، وبها نخل كثير يجلب رطبه الى الموصل .
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 39.

3 (?) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 147؛ ابن الاثير ، الكامل، ج10، ص 383.

4 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 383؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34.

بوفاة السلطان بركياروق [5] فأحضر أهـالي البلد واستشـارهم فيما يفعله بعد مـــوت الســـلطان، فقـــالوا :" **أموالنا وأرواحنا بين يديك ، وأنت اعرف بشـأنك ، فاستشر الجند فهم أعـرف بذلك"** فاستشار امراءه فقالوا : " **لما كان السلطان حيـاً قد كنا على الامتنـــاع ،ولم يتمكن أحد من طـــروق بلـــدنا، وحيث تـوفي فليس للنـاس اليـوم سـلطان غـير هـذا، والدخول تحت طاعته أولى** " [2] . فاخذ جكـرمش بمشـورتهم وجنح الى الصلح، وأرسل الى السـلطان يعـرض عليه الـدخول في طاعته [3] ويطلب من السلطان أن يحضر وزيـره فوافق السـلطان على ذلك وأنفذ وزيـــره ســـعد الملك [*] الى الموصل واجتمع مع جكرمش وأشار عليه بضرورة مقابلة السلطان محمد، وقال له : " **المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان فإنه لا يخالفك في كل ما تلمسه** " وأخذ بيده فسار معه جكرمش ، وقد أظهر أهل الموصل قلقهم البـــالغ على مصـــير جكـــرمش وظنـــوا أن السلطان سيغدر به فجعلوا يبكون ويصيحون ويحثـون الـتراب على رؤوســـهم ، فلما دخل على الســـلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ومنعه من الجلـــوس ، وقـــال لـــه: **"إرجع الى رعيتك ، فـأن قلـوبهم إليـك، وهم متطلعـون إلى عودتك ، فقبّل الارض وعاد ومعه جماعة من خـواص السـلطان** " [4] فلما عاد الى الموصل عمل على توثيق صلته بالسلطان محمـد، فأرسل اليه يـدعوه لـدخول الموصـل، ولكن السـلطان آثر البقـاء خارجهـا. [5] .

2- حصار جاولي سقاوو للموصل سنة (500هـ)

---

1 (?) ابن الاثـير، الكامل ، ج10، ص 383؛ابن القلانسـي، ذيل تـأيخ دمشق، ص 147؛ ابن خلدون ، العـبر ، ج5، ص 34؛ القلقشـندي ، مآثر الانافة، ج2، ص 13؛ العمري ، منهل الاولياء، ج1، ص 104.

2 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 384؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34.

3 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 384؛ ابن القلانسـي، ذيل تـأريخ دمشق، ص147؛الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص 20.

((*) سعد الملك: أبي المحاسن وزير السلطان محمد ، كان في بادىء أمره على ديوان الاستيفاء ثم اصبح وزيـراً وكـانت مـدة وزارته سنتان وتسـعة أشـهر ، ثم نكبه السـلطان سـنة500هــ ، وصـلبه على باب اصبهان إذ نسب اليه خيانة السلطان .
ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 437.

4 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 384؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص 198؛ ابن خلدون، العبر، ج5، ص 34.

5 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 384.

أ- عزل حكرمش وتولية جاولي سقاوو الموصل :

لم يلبث السلطان محمد أن أمر بعزل شمس الدولة جكرمش عن الموصل واعمالها واقطعها الى الامير جاولي سقاوو [*] في المحرم سنة (500هـ)، وعهد اليه بقتال الفرنج [1] .ويذكر ابن الاثير أنّ سبب عزل جكرمش عن الموصل، هو عدم التزامه تجاه السلطان محمد وتثاقله في الخدمة وحمل المال[2] . أما ابن القلانسي فيذكر أن السلطان محمد كان قد ندب جاولي لقتال الفرنج في الشام ودفعهم عن طرابلس ، وكتب الى بغداد والى سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جكرمش يأمرهم بتقديم المساعدة لجاولي وامداده بالاموال والرجال والخروج معه للجهاد ، إلا أن صاحب الموصل رفض تقديم يد المساعدة لجاولي وخرج لقتاله[3] .وهناك من يذكر أن سبب أمتناع جكرمش عن أمداد جاولي بالعساكر والمسير معه للجهاد بأنه آنف **" أن يتآمر عليه جاولي فحاربه"** [4] .

ومن هذه الآراء يبدو أن رأي ابن الاثير هو الراجح والاقرب الى الحقيقة ؛ لأن قرار السلطان بعزل جكرمش صدر في المحرم سنة (500هـ) وكان جاولي حينئذٍ لا يزال في بغداد، ولم يتوجه الى الموصل إلا في شهر ربيع الاول من السنة نفسها، إذ شرع في مهاجمة الاعمال التابعة لإمارة الموصل واستعد لقتال جكرمش[5] .

ب- حصار الموصل :

(*) جاولي سقاوو: هو أحد رجالات السلطان محمد سيطر على الموصل سنة 500هـ، ثم استولى عليها مودود وعسكر السلطان سنة 502هـ، ثم قصد السلطان ورضى عنه وأقطعه بلاد فارس وتوفي بها سنة 501هـ .

ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص 184؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 517.

1 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 422؛ ابن الوردي ، تأريخ، ج2، ص 17؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج12، ص 167؛ ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 37ـ38؛ العمري، منهل الاولياء، ج1، ص 104.

2 (?) الكامل، ج10، ص 422.

3 (?) ذيل تأريخ دمشق، ص 156.

4 (?) الفارقي، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق(ت 432هـ)، تأريخ الفارقي ، تحقيق: بدوي عبد اللطيف، الطبعة الاولى، مطبعة الهيأة العامة لشؤون المطابع الاميرية، (مصر ـ 1959) ، ص 532.

5 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 422ـ423؛ ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص156.

كانت البـوازيج [*] أول مدينة سـقطت بيد جـاولي فنهبها أربعة ايام وغدر بأهلها بعد أن أمنهم ثم تقدم الى أربل ، وكـان جكـرمش قد اسـتعد لـدفع جـاولي عن الموصل وبـادر بـالعبور الى الجـانب الشـــرقي لدجلة قبل اســتكمال عدته ، وانظمت اليه قـــوات أربل فاجتمع لديه ألفا فارس ،أما جاولي فقد وصل بألف فـارس فقط ، ونشب القتال بين الفريقين فـانهزم أصـحاب جكـرمش ولم يتمكن جكرمش من الفرار من المعركة لفالج كان أصـيب به وكـان يحمل على محفة لعدم قدرته على ركوب الخيل، وأخذ أسيراً وحمل الى جـاولي، فـأمر بحبسه وتشـديد الحراسة عليه [1] .وما ان علم أهل الموصل بأسر جكـرمش حـتى بـادروا الى تولية ولـده زنكي وكـان صبياً في الحادية عشرة من عمره وخطبوا له على منـابر الموصل ، واحضروا أعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فأجـابوا الى ذلك [2] ثم أن جاولي حصر الموصل إذ كثر جمعه ومعه عدد من الامـراء [3] .

جـ - موقف أهل الموصل من الحصار :

بعد ان وقع جكرمش أسـيراً لجـاولي أمر الأخـير بحمله على بغل والطواف به حول السور لارغـام أصـحابه وأهل الموصل على التسـليم . إلا ان انهم أصـروا على المقاومة والامتنـاع على الـرغم من نداء جكـرمش لهم بالاستسـلام حقنـاً للـدماء، فلم يسـلموا بل آثروا المقاومة [4] .

وكـــان جـــاولي يســـجنه في جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق، فأخرج في بعض الايام ميتاً وقد بلغ من العمرالستين عاماً

---

[*] البوازيج: بلد قرب تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب في دجلة ، وهي من أعمال الموصل.
ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص 503.

1 [?] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 423؛ ابن العبري، مختصر الدول ، ص 198؛ ابن كثـير، البداية والنهايـة، ج12، ص 167؛ العمـري ، منهل الاولياء، ج1، ص 104.

2 [?] ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 156؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424؛ ابن الوردي ،تأريخ، ج2، ص 17.

3 [?] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424؛ ابو الفـدا، المختصـر، ج2، ص 222.

4 [?] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424؛ ابو الفـدا، المختصـر، ج2، ص 222؛ ابن الوردي، تأريخ، ج2، ص 18.

. وكان الموصليون قد شـيدوا سـور الموصل وزادوه قـوة وبنـوا [5] عليه فصيلاً وحفروا خندقاً وحصنوا البلد غاية ما يقدروا عليه [2] .

د- التدابير التي اتخذها الموصليون لمواجهة الحصار :

من أهم التدابير التي اتخذها أهل الموصل لمواجهة الحصــار، أنهم جعلوا مستحفظ القلعة والذي كان مملوكـاً لجكـرمش يتـولى أمر الدفاع عن المدينة ، فقام بأخراج الامـوال وفرقها على الجنـد، وأحكم أمر الــدفاع عن الاســوار،وأدرك بأنه بحاجة الى مســاعدة خارجية لـدفع جـاولي عن الموصــل، فأرسل الى صـدفة بن مزيد يطلب اليه الحضـور لمسـاعدته، ولكن صـدقة لم يشأ التـورط في هذا النزاع والخروج على طاعة السلطان والخليفة [3] .

كما اسـتنجد بـالامير قلج أرسـلان بن قتلمش [*] صـاحب بلاد الـروم واقسنقر البرســقي [**] شــحنة بغــداد ، ووعد كلاًمنهما بتســليمه المدينة مستهدفاً بذلك حثهما على الخروج لمساعدته [4] .

هـ - موقف قلج أرسلان واقسنقر البرسقي:

سارع قلج أرسلان الى الموصل بعد مكاتبة أصحاب جكرمش ودعوتهم لـه، فلما علم جـاولي سـقاوو بوصـوله الى نصـيبين رحل عن الموصل وتراجع الى ســنجار وأودع رحله بهــا، وجــاءه كتــاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ، يقـول لـه: **" إن الفرنج قد عجز من بالشـــــام عن منعهم "** [5] فســــار الى الرحبة [*] أما اقسـنقر البرسـقي فوصل الموصل ونـزل على البـاب الشـرقي ،

---

1 (?) ابن الاثير،الكامل، ج10، ص 424؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص 198؛ ابو الفداء، المختصـر، ج2، ص 222ــ223؛ ابن الـوردي، تاريخ، ج2، ص 18.

2 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424ـ425؛ابو الفداء، المختصـر، ج2، ص 222؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص 18.

3 (?) ابن الاثــير، الكامــل، ج10، ص 424؛ ابن عســاكر، علي بن الحســين بن هبة اللــه(ت571هــ) ، تهــذيب تــاريخ دمشق الكبــير ، تهذيب: عبد القادر بـدران ، الطبعةالثانية ، دار المسـرة ، (بـيروت ــ 1979)، ج5، ص 388.

(*) قلج أرسلان: السلجوقي صاحب بلاد الروم ملك الموصل سنة 500هـ، وتوفي في السنة نفسها بعد غرقه في نهر الخابور . ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص 105؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 430.

(**) اقسـنقر البرسـقي: ابو سـعيد اقسـنقر البرسـقي الملقب قسـيم الدولة صاحب الموصل والرحبة وتلك النواحي، تولى شحنة بغداد سنة 498هـ، قتلته الباطنية سنة 520هـ بجامع الموصل . ابن خلكـان ، وفيـات الاعيـان ، ج1، ص 242ــ243؛ ابن الجـوزي، المنتظم، ج9، ص254.

4 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص 170.

5 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 426؛ ابن الوردي، تأريخ، ج2، ص 18؛ ابن كثير،البداية والنهاية، ج12، ص 167.

ويبدو أن أصـحاب جكـرمش أهملـوا البرسـقي بعد أن اطمـأنوا أن قلج أرسلان في طريقه اليهم، فقد ذكر ابن الاثير إن أهل الموصل لم يرسلوا اليه كلمة واحدة **" فعاد في باقي يومه"** [1] ثم بـادر أهل الموصل باستدعاء قلج أرسـلان اليهم بعد أن اسـتحلفوه لهم، فدخل الموصل في الخامس والعشـرين من رجب سـنة (500هــ) فخلع على زنكي بن جكرمش واصحابه وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي واسـقط اسم السـلطان محمد من الخطبــة، ثم تسـلم القلعة وعين فيها دزداراً [**] .

كما أمر قلج أرســـلان برفع الرســـوم المحدثة في الظلم [2]وبعد أن تمكن جـاولي سـقاوومن الاسـتيلاء على الرحبة ودخولها في الرابع والعشرين من رمضــان سنة
(500هــ) [3] نهض قلج أرسـلان لمسـاعدة أمـير الرحبة ، وتـرك الموصل وتقـدم لحـرب جـاولي، فـأظهر بعض الامـراء الرغبة في العـــودة الى بلادهم بعد أن بلغهم قـــوة جـــاولي، وفشل قلج في إقناعهم بعدم الرحيل، فأدى ذلك الى ضعف موقفه وقلة عسـكره، ولما رأى جاولي ذلك اغتنم الفرصة فشرع بمهاجمة قلج أرسـلان ، وكــانت المعركة في ذي القعــدة من سـنة (500هــ) [4] فــانهزم أصـحاب قلج أرسـلان ورمى قلج نفسه في الخـابور وحمى نفسه من أصحاب جاولي فإنحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق ومــات [5] .

---

[*] الرحبة: هي قرية من قرى دمشق بينها وبين دمشق يوم واحد، وهي عامرة بالبساتين.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 33.

1 [?] الكامل، ج10، ص 426.

[**] الدزدار: هو الشخصية الثانية في الامارة حيث يقع عليه عبء الـدفاع عن المدينة في اوقـات الخطر والحفـاظ على سـلامتها،وفي حالة غياب الامير يصبح الدزدار الحاكم الفعلي.
ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 424.

2 [?] ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 106؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص424ـ426؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج2، ص 222؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ، ج12، ص 167.

3 [?] ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 428ـ429؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج2، ص 222؛ ابن خلدون ، العبر، ج5، ص 37ـ38.

4 [?] ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 157؛ ابن الاثير ، الكامل، ج10، ص 429،ابو الفداء، المختصر، ج2، ص 222، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 167.

5 [?] ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 157؛ابن الاثير ، الكامـل، ج10، ص 430؛ اليافعي، مرآة الجنـان، ج3، ص 170؛ ابو الفـداء، المختصر، ج2، ص 222؛ ابن الوردي، تأريخ، ج2، ص 18؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 167.

بعد ذلك زحف جـــــاولي ســــقاوو نحو الموصل ، ففتح أهل المدينة أبوابها لــه، ولم يتمكن اصــحاب قلج أرســلان من منعهم، فنزل جاولي بظاهر الموصل وأمر باعادة الخطبة للسـلطان محمد بن ملكشاه ، ثم أمر بمصادرة جماعة من اصحاب جكــرمش وأبعد عن الموصل من حضر منهم الحرب الى جانب قلج أرسلان [1] .

ومن نتـائج هـذا الحصـار أن عـادت الموصل تحت سـيطرة السلطان محمد بن ملكشاه ، إذ خُطب له على منابر الموصل .

3- حصار السلطان محمد للموصل سنة (502هـ)

أ- تدهور العلاقات بين السلطان محمد وجاولي :

عهد السـلطان محمد في سـنة (501 هــ) الى وزيـره ضـياء الملك [*] بقتـــــــال الباطنية في قلاعهم بعد أن عمّ أذاهم وإزداد فسادهم، وأرسل الى جاولي سقاوو في الموصل يأمره بمسـاعدة الوزير للقيام بهذه المهمة، فنهض جاولي سقاوو في عسكر كـثيف وهـاجم مواقع الباطنية فخـرب منـازلهم ودمر قلاعهم وقتل عـدد كبير منهم وعاد الى الموصل [2] .

ثم تغيرت سياسة جاولي سـقاوو نحو السـلطان محمد فجـأة بعد عودته الى الموصــل، فعمل على الاســتقلال بالبلــد، ولم يف بالتزاماته ، وكان السلطان محمد قد أسند اليه ولاية كل بلد يفتحه واستولى على كثير من البلاد والاموال، ويبدو أن جـاولي تـأخر في حمل الامــوال الى الســلطان [3] ثم بلغ من تــدهور العلاقــات بين السلطان محمد بن ملكشاه وجـاولي سـقاوو الى الحد الـذي امتنع فيه جــاولي عن مســاعدة الســلطان محمد ضد اعدائه . وأظهر مخالفته ، وكان السلطان محمد بن ملكشاه قد قدم الى بغداد في أواخر سـنة (501هــ) وعـزم على قصد صـدقة بن مزيد صـاحب الحلة ، فأرسل يسـتدعي أمـراء الاطـراف لموافاته بالعسـاكر فلم يستجب جاولي سقاوو لنداء السلطان محمد، الـذي أضـطر لتوجيه

---

1 (?) ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 158؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 430؛ابو الفـداء، المختصـر، ج2، ص 222؛ ابن الـوردي، تأريخ، ج2، ص18؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج3، ص 170؛ ابن كثير ، البداية والنهايـة، ج12، ص 167؛ العمـري، منهل الاوليـاء، ج1، ص 105 .

(*) ضياء الملك: هو الوزير ضياء الملك بن أحمد بن نظام الملك ، لقب بقوام الدين وصـدر الاسـلام، اصـبح وزير السـلطان محمد سـنة 500هـ ، وقاتل الباطنية وانتصر عليهم .
ابن الاثير ، الكامل ، ج10، ص 437.

2 (?) ابن القلانســـي، ذيل تــأريخ دمشــق، ص 162؛ ابو الفـــداء ، المختصر، ج2، ص 222.

3 (?) ابن الاثير ، الكامل ، ج10، ص 457.

نداء آخر اليه، إلا ان جاولي سقاوو أمتنع وكشف عن حقيقة نوايـاه من السلطان محمد، فراوغ في الاجابة وأظهر أنه يخـاف الاجتمـاع به .

ويبـدو أن جـاولي سـقاوو كـان على اتصـال بصـدقة بن مزيد بدليل أنه كاتبه وأظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان ، واطمعه في الخلاف والعصيان[1].

ولم ينس السـلطان محمد بن ملكشـاه لجـاولي سـقاوو هـذا الموقف فعـزم على قتاله وانـتزاع البلاد منه بعد أن ينتهي من أمر صـدقة بن مزيد الـذي لم يلبث ان قتل وانهـزم عسـكره في رجب من سنة (501هـ) [2] .

وقد اجتمع لــدى الســلطان محمد بن ملكشــاه من أمــراء الاطراف مودود بن التونتكين [*] واقسنقر الـبر سـقي وغـيرهم من الامـراء، فطلب اليهم المسـير الى الموصل وانتزاعها من جـاولي سقاوو فتوجهوا نحو الموصل لانتزاعها [3] .

ب- استعدادات جاولي وموقف أهل الموصل منه :

كان جاولي سقاوو يعلم ان السلطان محمد بن ملكشاه ينوي أن يتخـذه هدفه الآتي بعد القضـاء على صـدقة بن مزيد ، فاسـتعد للــدفاع عن الموصل وأعد العــدة لمقاومة أي حصــار من قبل عسـاكر السـلطان ، فـاهتم بتشـييد سـور المدينة وأحكم ما بنـاه جكرمش من التحصينات [4] وأعد المـيرة والاقـوات والعـدد والآلات [5] .

---

1 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 457.

2 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 457؛ اليافعي ، مـرآة الجنـان، ج3، ص 169؛ الفارقي ، تأريخ الفارقي، ص 274.

(*) مــودود بن التــونتكين : من أبــرز قــادة الســلطان محمد بن ملكشـاه ، أظهر كفاية ومقـدرة فائقة في تنفيذ المهـام الـتي عهـدها السلطان اليه، كـان متمسـكاً بفكـرة الجهـاد الـديني ضد الصـليبيين ، وكان من خيار الملوك ديناً وشجاعة وخيراً . ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 422، 458؛ ابن تغري بـردي، النجـوم الزاهرة ، ج5، ص 207.

3 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 458؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج2، ص 223؛ ابن الوردي، تأريخ، ج2، ص 19؛ العمري، منهل الاولياء، ج 1، ص 105.

4 (?) ابن الاثير ، الكامل، ج10، ص 458.

5 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 458؛ ابن الوردي، تـأريخ ، ج2، ص 19.

على أن أهل الموصل كانوا لا يحملــون أية مشــاعر ودية نحو جاولي بل على العكس من ذلك كانوا يضمرون له الكراهية ،وكـان جاولي سقاوو نفسه يعلم بذلك ، فـأمر بحبس جماعة من أعيـانهم خوفاً من تـواطئهم مع اعدائه وأخذ يصـطنع الشـدة مع أهل البلد" **حتى انه نادى: متى اجتمع عاميان على الحديث في هذا الامر قتلهما"**[1].

وأخـرج من أحـداث الموصل ما يزيد على عشـرين الفـاً، ولم يـــترك في الموصل ســـوى ألفي نفر من الصـــنّاع والحـــدادين والنجارين والجصاصين اليهم في أصلاح الاسوار وآلات الحرب [2] .

ثم رحل عن الموصل تاركـاً فيها زوجه بعد أن أسـكنها القلعة في حماية فرقة تتـألف من ألف وخمسـمائة فـارس من الاتـراك فضـلاً عن الراجلـة، وقد أسـاءت زوج جـاولي الى أهل الموصل ، وصادرت أموال من بقى بها **"وعسفت نساء الخـارجين عنـه، وبـالغت في الاحـتراز عليهم فأوحشـهم ذلـك، ودعـاهم الى الانحراف عنها"** [3] .

ثم وصــلت جيــوش الســلطان محمد بن ملكشــاه وأحــاطت بالموصل في رمضان سنة (501هـ) فضاق الامر على أهلها وأشتد البلاء عليهم لما كـانوا يقاســونه من بطش امــرأة جـاولي بهم في الداخل ، وما كـانوا يلقونه من أضـرار الحصـار عليهم في الخـارج، وكان الجند يمنعون أي عامي من التقرب من السور [4] .

وقد استمرت هذه الاوضـاع على هـذا النحو في السـوء حـتى آخر المحرم من سنة (502هـ)[5] فلما طال الأمر على الناس اتفق نفر من الجصاصـــين على تســـليم البلد الى عســـكر الســـلطان ، وتحـالفوا على التسـاعد فنفـذوا خطتهم هـذه ظهر يـوم الجمعة إذ يؤدي معظم الناس الصلاة في المسجد الجامع ، فصـعدوا الى أحد الأبراج وأغلقـوا ابوابـه، ووثبـوا على من به من الجند وكـانوا نيامـاً فقتلــوهم عن آخــرهم واســتولوا على ســلاحهم ونــادوا بشــعار السلطان [6] .

---

1 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 458.

2 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 458.

3 (?) المصدر نفسه، ج10، ص 458؛ ابن الـوردي، تـأريخ، ج2، ص 19؛ ابو الفداء ، المختصر، ج2، ص 223.

4 (?) ابن الاثير، الكامل ، ج10، ص 458.

5 (?) ابن الاثـير، الكامـل، ج10، ص 458؛ ابو الفـداء، المختصـر، ج 2،ص 223.

6 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 458.

فزحف الامـــير مـــودود بن التـــونتكين واقتحم المدينة من نــاحيتهم وأمر قواته بالحفــاظ على الامن في المدينــة، وان يعــود النــاس الى دورهم وأملاكهم [1] . واقــامت زوج جــاولي في القلعة ثمانية أيــام، ثم اســتأذنت مــودود في الخــروج ، فــأذن لها فحملت أموالها وسارت الى أخيها ، واستقر مودود بولاية الموصل واعمالها في صفر من سنة (502هـ) [2] . وبذلك عــادت الموصل تحت حكم السلطان محمد وخطب له على منابرها .

---

1 (?) ابو الفداء، المختصر، ج2، ص 223؛ ابن الـوردي، تـأريخ، ج2، ص 19.

2 (?) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص 459؛ ابن العبري، مختصر الدول ، ص 199؛ الفارقي، تأريخ الفارقي، ص 275.